﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ [الشعراء: 69 - 71]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

ذِكـرُ سيرة الأب حـامـلٌ عـلى الاقتداء به

لمّا أتمَّ سُبحانه وتعالى ما أراد من قِصَّة موسى ﷺ ليعرف نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ أنَّ تلك المِحَن التي أصابته كانت حاصلةً لموسى كذلك، أتبعه قَصَّة إبراهيم ﷺ، دلالةً على رحمته بنبيّه وزيادةً في تسليته ﷺ[1]، ولأنّه أعظم آباء العرب، فيكون ذِكْرُ سيرته حاملًا لكفّار قريشٍ على تقليده في التَّوحيد إن كانوا لا ينفكّون عن التّقليد، وزاجرًا عن استعظام تسفيه آبائهم في عبادتها[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱتۡلُ﴾: (تلو) أصلٌ يدلّ على الاتّباع، تَلَوْتُ الرَّجُلَ أَتْلوه تلاوةً: تبعتُهُ، ومنه تلاوةُ القرآن؛ لأنَّه يُتْبِعُ آيةً بعدَ آية، وجاءتِ الخَيْلُ تتاليًا، أي: مُتتابعةً[3]، والتِّلاوةُ تختصُّ باتِّباعِ كُتُبِ اللهِ المنزَّلة، تارةً بالقراءة، وتارةً بالارْتسامِ لما فيها من أمرٍ ونَهْيٍ، وتَرغيبٍ وترهيبٍ، وهي أخصُّ من القراءة، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً[4]، وقولُه تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾، أي: اقْصُصْ عليهم[5].

2) ﴿نَبَأَ﴾: (نبأ) أصلٌ يدُلُّ على الإتْيانِ من مكانٍ إلى مكانٍ، يقالُ للَّذي يَنْبَأُ من أرضٍ إلى أرضٍ نابِئٌ، وسَيْلٌ نابِئٌ: أتَى من بَلَدٍ إلى بلدٍ، ومن هذا القياسِ النَّبَأُ: الخَبَرُ؛ لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى

(1) الشِّربيني، تفسير الخطيب الشِّربيني: 3/ 56.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 46.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (تلو).
(4) الرّاغب، المفردات: (تلو).
(5) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 138، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5365.

مكان، والمُنبِئُ: المُخبِرُ، والنَّبْأةُ: الصَّوتُ، لأنَّه يَجيءُ من مكانٍ إلى مكانٍ[1]، والنَّبأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصُلُ به علمٌ أوْ غَلَبَةُ ظنٍّ، ولا يُقالُ للخَبرِ في الأصلِ نَبَأٌ حتَّى يتضمَّنَ هذه الأشياءَ الثَّلاثة[2].

وقولُه تعالى: ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، أي: الخبرَ الخطيرَ ذا الشَّأنِ العظيم، وهو أمرُ إبراهيمَ عليه السلام إذْ جاءَ قومَه فرآهم يعبُدونَ الأصنام[3].

3) ﴿أَصْنَامًا﴾: (صنم) كلمةٌ واحدةٌ لا فرْعَ لها، وهي الصَّنمُ، وكان شيئًا يُتَّخذُ من خَشَبٍ أو فضَّةٍ أو نُحاسٍ فيُعبَد، وجَمعُه: أصنامٌ، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: 74][4]، وقولُه تعالى: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ أي: حجارةً نُحِتَتْ تماثيلَ ليعبُدوها[5].

4) ﴿فَنَظَلُّ﴾: (ظلل) أصلٌ يدلّ على ستر شيءٍ لشيءٍ، يُقال: ظَلِلْت وظِلْتُ بحذفِ إحدَى اللّامَيْن، ليُعبَّرَ به عمّا يُفعَلُ بالنَّهار، ويَجْري مَجْرَى صِرْت، وذلك لأنّ الظِّلّ لا يكون إلّا بالنّهار، قالَ تعالى: ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ۝٥١﴾ [الرّوم: 51]، وقال سُبحانه: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: 97][6]، وقولُه تعالى: ﴿أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا﴾ أي: نقومُ على عبادتِها نهارًا دون اللَّيل[7] على قولٍ، وعلى الدَّوام على قولٍ آخر.

5) ﴿عَٰكِفِينَ﴾: (عكف) أصْلٌ يدُلُّ على مقابلةٍ وحَبْسٍ، يُقالُ: عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عُكوفًا، وذلك إقبالُه على الشَّيءِ لا ينصرِفُ عنه، فهو عاكِفٌ ومعتَكِفٌ، ومن الباب قولُهم للنَّظم إذا نُظِمَ فيه الجَوْهَرُ: عُكِّفَ تعكيفًا، والمعكوفُ: المحبوسُ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح: 25][8]، وقولُه تعالى: ﴿عَٰكِفِينَ﴾ أي: مستمرّين في عبادتِها لا نَني عن ذلك ليلًا ولا نهارًا[9]، لا نَعْدِلُ بها شيئًا[10].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نبأ).
(2) الرّاغب، المفردات: (نبأ).
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5365.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (صنم).
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5365.
(6) الرّاغب، المفردات: (ظلل).
(7) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 116، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 138.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عكف).
(9) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5365.
(10) الزَّجّاج، معاني القرآن: 4/ 93.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنكار إبراهيمَ عليه السلام على أبيه وقومِه عبادةَ الأصنام وإصرارهم في الاستمرار على عبادتها

هذا إخبارٌ عظيمُ الشَّأنِ من اللّهِ تعالى عن عبدِه ورسولِه وخليلِه إبراهيمَ عليه السلام إمامِ الحُنفاء، أمرَ اللّهُ تعالى رسولَه محمَّدًا ﷺ أن يَتلوَه على أُمَّتِه ليقتدوا به في الإخلاصِ والتَّوكُّل[1]، فيخبرُ اللّهُ تعالى عن خليلِه إبراهيمَ عليه السلام أنَّه قال لأبيه وقومِه مُنكرًا عليهم: ما هذه التَّماثيلُ الَّتي تقومون على عبادتِها من دونِ اللّه[2]؟! فأجابوه بأنّهم يعبُدون أصنامًا ويقومون على عبادتِها ودعائها مستمرّين لا يَعدِلون بها شيئًا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ عطفِ القِصّة على القِصّة:

فِقهُ الأولويّات مُراعًى في ترتيب قصص القرآن

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ عطفٌ على ما سبق، والعطفُ هُنا من قبيل عَطْفِ القِصَّة على القصَّة، وقد قُدِّمت قِصّة موسى على قِصّة إبراهيم عليه السلام مع تأخُّرها عنها زمانيًّا، باعتبار أنَّ موسى أُرسل إلى فرعون الطّاغية الّذي قال للملأ: أنّا ربُّكم الأعلى، وهذا قِمَّة الكُفر والشّرك، وإبراهيم أُرسل إلى قومٍ يعبدون الأصنام فهؤلاء أقلُّ سفاهةً وضلالًا وجهلًا من قوم فرعون، فهؤلاء كانوا يظنّون أنّ هذه الأصنام تُقرِّبهم عند اللّه زُلفى أو تشفع لهم، بينما قوم فرعون يعبدون الآلهة ويعبدون فرعون نفسه، فلذلك كان نبأ موسى مُقدّمًا على نبأ إبراهيم بالنّسبة للدّعوة إلى التّوحيد والتَّحدّي[4].

بلاغة استعمال مفردة التِّلاوة:

التّلاوة تَتابُع القراءةِ، والإشارةُ إلى أنَّ الموعظة والعِبرة تكون بالقرآن

آثر النَّظمُ الكريمُ فِعْلَ التِّلاوة في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ دون القراءة، ذلك أنَّ التلاوة تعني: القراءة على سبيل التَّتابع وهي

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 317.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 317.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 83، والواحدي، الوسيط: 3/ 355.
(4) ابن فورك، تفسير ابن فورك، ص: 237، والخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 10/ 134.

مُختصَّة بالقرآن، ولذلك كانت كُلُّ تلاوةٍ قراءةً وليس كُلُّ قراءةٍ تلاوةً[1]، فالمعنى: اقرأ عليهم على الدّوام ممّا أوحي إليك خَبرَ إبراهيم العظيم ليتأكّد عندك عدم تأثُّرهم بما فيه، وذلك لشدَّة عنادهم[2]، لأنَّ تلاوة القُرآن لها أثرٌ عجيب في القلوب لمن كان له قلب.

بلاغة تغيير أسلوب بدءِ القِصَّة:

نـظـمُ الـقـرآنِ مُـراعًـى فيه أحوالُ المخاطَبين

بُدئت القِصَّة بأمر النَّبي ﷺ أن يتلوَ هذه القِصَّة على قومه، فقال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ على خلاف قِصَّة موسى حيث بُدئت بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشُّعراء: 10]، ولعلَّ تغيير الأسلوب هُنا جاء لمزيد الاعتناء بهذه القِصَّة؛ لأنَّ عَدَم إيمان كُفّار قريشٍ بعد وقوفهم على ما تضمَّنته هذه القِصَّة فيه أقوى دليلٍ على عنادهم، وذلك لأنَّ إبراهيم عليه السلام له خصوصيّةٌ عندهم[3]، فهو جدُّهم الذي يفتخرون بالانتساب إليه[4]، فالأحرى بهم بعد ذكر قِصَّته أن يتَّقوا الله ويؤمنوا.

تعيينُ مرجع الضَّمير:

تـذكـيرُ مُـشركي قريشٍ بإبراهيم لاختصاصهم بالانتساب إليه

يَرجِع الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى المشركين، دلالةً على أنَّ القصد من إيراد القِصَّة هو التَّذكيرُ وضربُ المثل[5]، فلَمّا كانت العَرَبُ لها خُصوصيَّةٌ بإبراهيمَ عليه السلام؛ أمَرَ اللّهُ نبيَّه ﷺ أن يتلوَ عليهم قَصَصَه، وما جرَى له مع قَومِه، ولم يأتِ في قِصَّةٍ مِن قِصَصِ هذه السّورةِ أمرُه عليه السلام بتلاوةِ قِصَّةٍ عليهم إلّا في هذه[6].

دلالةُ إضافة لفظ النّبأ إلى العلم:

إبـــرازُ مـوضـع العبرة والقُدوة والأسوة

في إضافة النَّبأ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ دون ذكر إشراك قومه معه، وظاهرُ القِصَّة حديثٌ عنه وعنهم،

(1) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 71، والبروسوي، روح البيان: 6/ 281.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 93.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 93، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 22.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 93.
(5) محمَّد دروزة، التَّفسير الحديث: 3/ 249.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 162.

إشارةٌ إلى أنَّ المنظور إليه هو إبراهيم ﷺ، وأنَّه هو الذي يجب أن يكون مَوْضِعَ القُدوة والأسوة للمؤمنين، ولأصحاب الرِّسالات الطَّيِّبة الدّاعية إلى الخير، وعلى رأس أصحاب هذه الرِّسالات النَّبيُّ محمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليه، حيث اجتمع في قومه كِبْرُ فرعون واستعلاؤه، وصَغارُ قوم إبراهيم وحماقتهم[1].

معنى ﴿إِذْ﴾ ودلالتُها:

الإشارةُ إلى تمام رُشد إبراهيم مُذ صغر سِنِّه

الظَّرف في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ بمعنى: وقت أن قال إبراهيم ﷺ لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ وقد أوتي الرُّشد من صغره، فهو من حين نشأ وترعرع أنكر على قومه عبادة الأصنام، وهو مشاهِدٌ راءٍ له، ليُعلمَهم أنّ ما يعبدونه لا يستحقُّ العبادة في شرعٍ ولا عقلٍ[2].

دلالة اللّام وغَرَضُ تقديم ﴿لِأَبِيهِ﴾:

الـدَّعـوةُ تبـدأُ بالأقرب فالأبعد عنايةً ورعايةً

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِأَبِيهِ﴾: لام الاختصاص، وقدَّم النَّظمُ الكريمُ ذِكْرَ (أبيه) على قومه؛ لأنَّ أب الشَّخص أو عَمَّه هم أقرب النّاس إليه، والدَّعوةُ عادةً تبدأ بالأقرب فالأقرب، فلأنَّه كان حريصًا على هدايته قدَّمه اهتمامًا به، ولذلك سأل ربَّه ألّا يُخزيَهُ يومَ يبعثون كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشُّعراء: 87].

غرضُ الإطناب في قوله ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾:

عطفُ العامِّ على الخاصِّ للاعتناء بالأب

عطف القوم على الأب في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من عطف العامِّ على الخاصِّ؛ لأنَّ أباه داخلٌ في قومه ضمنًا، وذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ إطنابٌ، والغرَضُ منه الاعتناء بشأن

(1) الخطيب، التَّفسير القرآني: 10/ 134.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 131، والمراغي، تفسير المراغي: 19/ 69، والطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 10/ 253.

أبيه مع ما فيه من إفادة العموم، وإبراز مكانة الأب، وأنَّه الأصل في الدَّعوة إلى الله تعالى.

غرضُ الاستفهامِ في ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وبلاغتُه:

الإنكارُ على قومِ إبراهيم وتوبيخُهم وتقريرُهم لاعترافِ بجُرمهم

تُستعمل ﴿مَا﴾ للسُّؤال عن ذات غير العاقل، وقد تُستعمل لصفات العقلاء وللسّؤال عن حقيقة الشَّيء، وإبراهيم ﷺ يعلم ما يعبد قومه، فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ليس حقيقيًّا، بل هو استفهامٌ إنكاريٌّ للتّوبيخ، ويدلّ على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصّافات: 86]، فسؤال إبراهيم، هو من تَجاهُلِ العارف، الذي يسأل عن الشّيء وهو يعرف الجواب، ولكنَّه يُريد بهذا السُّؤال أن يأخذ الجواب عن هذا الجُرْم، من فم المُجرمين أنفسهم، ليكون ذلك موضعًا للمُساءلة والمُحاسبة على ما نطقت به ألسنتهم، ولهذا كان تعقيب إبراهيم على هذا الجواب، بأن سألهم قائلًا: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾؟[1]، فالاستفهامُ هنا بمعنَى التَّحقيرِ والتَّقريرِ[2].

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ في استعمال ﴿مَا﴾ و﴿مَاذَا﴾:

المبالغة في التّوبيخِ والإنكارِ تقتضي استعمال (ماذا)

جاءَ الاستفهام في قَوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ بدونِ ذِكرِ (ذا)، ووجْهُه: أنَّ ﴿مَا﴾ لمُجرَّدِ الاستفهام، فأجابوا بقَولِهم: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، وفي (الصّافّات) بذِكره: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الصّافّات: 85]؛ و﴿مَاذَا﴾ [الصافات: 85] فيه مُبالَغةٌ؛ لتَضمنه معنَى التَّوبيخِ، فلمّا وبَّخَهم ولم يُجيبوه، زادَ على التَّوبيخ فقال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصّافّات: 86 - 87]؛ فذَكَر في كلِّ سورةٍ ما يُناسِبُ ما ذُكِر فيها[3]، وقيل:

(1) الخطيب، التَّفسير القرآني: 10/ 134.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 138، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 162.
(3) الأنصاري، فتح الرَّحمن، ص: 412.

هذه هي المُحاجَّةُ الأولى في مَلأِ أبيه وقَومِه أَلْقى فيها دَعْوتَه في صورةِ سؤالِ استفسارٍ غَيرِ إنكارٍ؛ استنزالًا لطائرِ نُفورِهم، وأمّا قَولُه في الآيةِ الأُخرى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦﴾ [الصّافات 85 - 86] فذلك مَقامٌ آخَرُ له في قَومِه كان بعْدَ الدَّعوةِ الأولى المَحكيَّةِ في سورةِ الشُّعراء؛ ولأجْلِ ذلك كان الاستفهامُ مُقترنًا بما يَقتَضي التَّعجُّبَ مِن حالِهم بزيادةِ كَلِمةِ (ذا) بعدَ (ما) الاستفهاميَّةِ في سورةِ (الصّافّات)، وكَلِمةُ (ذا) إذا وقعَتْ بعدَ (ما) تَؤولُ إلى معنَى اسمِ المَوصولِ؛ فصارَ المعنى في سورةِ (الصّافّات): ما هذا الَّذي تَعْبُدونه؛ فصارَ الإنكارُ مُسلَّطًا إلى كَونِ تلك الأصنامِ تُعبَدُ[1].

دلالة التّعبير بصيغة المُضارع:

استحضارُ معنى التَّوبيخِ حين السُّؤال

جاء التّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ دون أن يقول: (عبدتم)، وذلك باعتبار أنَّ العبادةَ واقعةٌ منهم الآن، ولاستحضار الاستنكار على عبادتهم الأصنام حين السّؤال، فهو أرسخ في الإنكار والتَّوبيخ.

بلاغةُ تكرير الفعل في جملة الجواب:

تكرير التَّصريح بـه ابتِهاجًا بعبادة الأصنام، وافتخارًا وعنادًا

أظهَر النَّظم فعل ﴿نَعْبُدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ مع أنَّ الظّاهر الاستغناءُ عن التَّصريح؛ إذْ كان جَوابُهم عن سُؤالٍ فيه: ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ فلا حاجةَ إلى تَعيينِ جِنسِ المَعبودات، فلو قالوا: ﴿أَصْنَامًا﴾، كما في قَولِه تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219]، وقوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾ [سبأ: 23] لَكفى؛ لكنّهم عَدَلوا عن سُنَّةِ الجَوابِ إلى تَكريرِ الفِعلِ الواقعِ في السُّؤالِ؛ ابتِهاجًا بهذا الفِعلِ، وافتِخارًا به[2]، فجاء الجوابُ بصيغة المُحاورة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 138.

(2) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 317، 318، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 140، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 162، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 89.

الجارية في سياقات قَصَصِ القُرآن الكريم، فقولهم: ﴿نَعْبُدُ﴾ يدلُّ على توكيد عبادتهم والافتخار بها، مع نكادةٍ وعنادٍ في الجواب.

غرضُ تنكير المفعول ﴿أَصْنَامًا﴾:

بيان تعظيمهم لأصنامهم ومعبوداتهم الباطلة

التَّنْوينُ في ﴿أَصْنَامًا﴾ للتَّعظيم؛ ولذا عُدِلَ عن تَعريفِها، وهُم يَعْلَمون أنَّ إبراهيمَ يَعرِفُها، ويَعلَمُ أنَّهم يَعبُدونها، واسمُ (الأصنام) عِندَهم اسمٌ عظيمٌ؛ فهُم يَفتَخِرونَ به، على عَكسِ أهلِ التَّوحيدِ، فتنكير ﴿أَصْنَامًا﴾ للتَّعظيم؛ لأنَّ المقامَ مقام افتخارٍ وابتهاجٍ بعبادتها، فناسب أن يكون كذلك[1].

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَنَظَلُّ﴾:

قصدُ إبرازِ ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار

لمّا كان قوم إبراهيم عليه السلام يُريدون إظهار ما في نفوسهم من التَّعظيم لأصنامهم والافتخار بعبادتها، عطفوا دوام عكوفهم عليها في قولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ قصدًا إلى إبراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك[2].

بلاغة الإطناب:

الإطالة في الجواب افتخارًا واعتزازًا

في قوله تعالى: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ إطنابٌ، إذ الجملة زائدةٌ على الجواب، إظهارًا للتَّحدّي، وكأنَّهم فرِحون بما هم عليه[3]، فزادوا بهذا العطفِ فعلَ العبادة تأكيدًا[4].

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿فَنَظَلُّ﴾:

الكناية عن دوام العبادةِ في الأوقات كلِّها أو في النَّهار وحده

المُراد بالظُّلول في قوله تعالى: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ الدَّوامُ أو فِعلُ الشَّيء نهارًا[5]، فعلى المعنى الأول تكون (ظَلَّ) تامَّةً، وعلى المعنى

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 139.
(2) المَراغي، التَّدبر والبيان: 24/ 344.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 247، والزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 317.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 150.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظل).

الثاني تكون ناقصةً[1] وقد اختار كثيرٌ من المفسِّرين المعنى الأوَّل[2]، ووَجْهُ كونِه أبلغَ عندهم هو مُناسبته لمقام الافتخار والابتهاج، وما يَزيدُ فِعل العبادةِ تأكيدًا بقَولِهم فنَظَلُّ لَها عاكِفينَ، وفي فِعلِ ﴿فَنَظَلُّ﴾ دلالةُ الاستِمرارِ جَميعَ النَّهارِ[3].

واختار الزَّمخشريّ المعنى الثّاني[4] لأنّهم كانوا يعبدونها نهارًا، ووجه كونه أبلغَ هو أنَّه مُناسبٌ للمقام أيضًا، فهو يدلُّ على إعلانهم الفعلَ لافتخارهم به[5].

نكتةُ استعمال اللّام ومعناها:

تـخـصـيـصُ الأصـنـام بالعبادةِ بقصدِ إظهار مكانتها

آثرَ النَّظمُ استعمالَ اللّام في قوله تعالى: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا﴾، فلم يَقُل: (فنَظلُّ عليها)، وإنَّما أَوردَه باللّام لإفادةِ معنًى زائدٍ، كأنَّهم قالوا: فنَظَلُّ لأجْلِها مُقْبِلينَ على عبادتِها، أو مُستَديرينَ حَوْلَها، وهذا أيضًا مِن جملةِ إطنابِهم، أو عَدَّى العُكوفَ باللّامِ؛ لأنَّ المعنى: (لها قانِتون)[6]، كما أنَّ اللّام هُنا جاءت لمعنًى مقصودٍ هو الاختصاص، ولذلك عُدِّيَ باللّام لبيان اختصاصهم بالعُكوف على عبادة أصنامهم، وهذا أنسب للمقام وأبلغ في الدّلالة.

دلالةُ التَّعبير باسم الفاعل:

ثـبـاتُ عُـبّـاد الأصـنـامِ عليها وملازمتُها

العكوف يعني مُلازمة الشَّيء على سبيل التَّعظيم، وجاء التَّعبير بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾؛ لأنَّه أبلغ؛

(1) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 93.

(2) كابن عطيَّة والبيضاوي وأبي السعود وغيرهم، يُنظر: ابن عطية الأندلسي، المُحرَّر الوجيز: 4/ 234، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 19/ 543، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 19/ 247.

(3) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 317، 318، وأبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط: 8/ 162، والدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 89.

(4) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 318.

(5) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 93.

(6) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 317، 318، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 140، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 162.

وذلك لدلالته على الثُّبوت والدَّوام، ولأنَّه أنسب للمقام، وفيه كنايةٌ[1] عن دوامِ عبادتهم لأصنامهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّنم والوَثَن:

الصَّنمُ ما كانَ مُصَوَّرًا من حجرٍ أَو نحاسٍ أو فضَّةٍ أَو نَحْو ذَلِك، والوثنُ ما كانَ من غير صورةٍ[2]، فما اتَّخَذَهُ النّاس من آلهةٍ فكان من غير صورةٍ فهوَ وثَنٌ، فإذا كانَ لَهُ صورَةٌ فهوَ صَنَمٌ[3]، وفَرَّق بَيْنَهُما هِشامٌ الكَلْبيُّ في كِتابِ الأَصْنام بِأَنَّ المَعْمولَ من الخَشَبِ أَو الذَّهَبِ والفِضَّة أَو غَيْرِها من جَواهِرِ الأَرْضِ صَنَم، وإذا كانَ من حِجارةٍ فهوَ وثَنٌ[4]، وقيل: الصَّنمُ ما كانَ على صورَة خِلْقَة البَشَر خاصَّة، والوَثَن: ما كانَ على غَيْرِها[5].

الصَّنم ما كان من المَعبودات الباطلة على صورة، والوثن يَعُمُّ كلَّ معبودٍ من دون الله

ويُطْلَق الوَثَنُ على الصَّليب، وعلى القبر إذا عُبد من دون اللّه وعلى كلِّ معبودٍ من دون اللّه، فالوثن أعمُّ سواء كان شيئًا مجسّدًا على صورةٍ أو غير ذلك، وقد جاء في القرآن ما يدلّ على هذا، ففي قصة إبراهيم: مرّةً سُمّيَت أصنامًا ومرّةً سُمّيت أوثانًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: 25]، وقال تعالى ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ فهذا يدلُّ على أنَّها تُطلق على هذا مرّةً وتُطلق على هذا مرّةً أخرى.

(1) المطعني، التَّفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 99.
(2) ابن عزيز السِّجستاني، غريب القرآن، ص: 66.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (صنم).
(4) الكلبي، كتاب الأصنام، ص: 53.
(5) مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (صنم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»